5

أنموذج مومباي: استكشاف مفهوم

مارك ديتشيسني

بالنسبة إلى بعضهم، أصبحت الصورة مقترنة بأحدث التهديدات التي يشكلها الجهاديون في جميع أنحاء العالم (على سبيل المثال، كروملي 2008، هايدن، 2012). وبالنسبة إلى آخرين، يمكن وصفها بدقة أكثر (عن طريق تحديد عدد المهاجمين، والأسلحة، والتكتيكات والأهداف (NCTC 2012). لكن سواء كان هذا صحيحًا أم غير صحيح، ومنذ أيام مومباي الإرهابية التي وقعت في الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر عام 2008، برز (نموذج مومباي) بوصفه مفهومًا بارزًا في تحليل الإرهاب في العصر الحديث. وقد وصف رسميًّا على النحو الآتي:

> الانتحار، بمعنى أن يجند الشباب لتنفيذه، يقوم بكل بتهور، اختراقات، رش بالبندقية ومن النوع الذي يجعل من غير المحتمل أبدًا أنهم سوف يبقون على قيد الحياة. كما أن الاعتداءات عادة لا تنطوي على خطط للهرب أو إستراتيجيات خروج تكتيكي أخرى غير الشهادة. وفي الوقت نفسه، فإن هذه ليست (هجمات انتحارية) بمعنى أن المهاجمين لا يربطون أجسادهم بالأسلاك كقنابل بشرية. المخربون سوف [. . .] يقاتلون ما دام في وسعهم القتال، وأخيرًا هم يقبلون بمصيرهم على أيدي قوات الأمن المضادة. (كول، 2008)

بالنظر إلى هذه الميزات، أسلوب مومباي الذي وصف بالهجمات الفدائية، يشكل تحدِّيًا ليس فقط لقوات الأمن والمخابرات، وإنما أيضًا لعلماء الاجتماع الذين يحاولون فهم القوى الدافعة وراء أعمال العنف الشديدة والتضحية، أو الاثنتين معًا، وكما تشير ستيف كول في كلماتها: من المنطقي جدًّا أن نربط كلا الهجومين الفدائيين بأشكال أخرى من الإرهاب الانتحاري، ومع ذلك فمن المنطقي أيضًا عدم وضعهما في كفة ميزان واحدة مع غيرهما، سواء من وجهة نظر تكتيكية أو نفسية. هذا الفصل، في ضوء الهدف العام لهذا الكتاب يأتي لفهم الإرهاب الانتحاري، ويسعى لفعل ذلك: لتحديد موقع (أسلوب مومباي) وسط الإرهاب الانتحاري والإرهاب غير الانتحاري،

ويسعى بذلك إلى الإسهام في فهم مغزى هذا التكتيك الإرهابي المروع، وتطوير التدابير المضادة والفاعلة ضده.

ستون ساعة من الرعب في مومباي

في مساء 21 نوفمبر 2008، غادرت السفينة الهندية كوبر ميناء كراتشي وعلى متنها طاقم من 10 أعضاء من منظمة لاشكار طيبة المسلحة (LET)، بعد مضي يومين في البحر تقريبًا، قام الأعضاء العشرة باختطاف السفينة، ما أسفر عن مقتل أربعة من أفراد طاقمها، وتوجهت بعد ذلك إلى مومباي. في 26 تشرين الثاني، وعلى مقربة من الساحل الهندي، قتل الخاطفون العشرة ملاح السفينة، واستخدموا زوارق نفخ سريعة لينفذوا إنزالًا على اليابسة بالقرب من كوفي، مومباي. انقسم المسلحون إلى مجموعتين؛ خمسة في كل مجموعة، واستمرت اتصالات المجموعتين مع بعضهما ومع مخططي الهجمات في باكستان.

بعد قرابة أكثر من ساعة من وصولهم اليابسة، أول فريق وصل إلى مقهى ليوبولد بسيارة أجرة. المقهى هو بار ومكان استراحة معروف للسياح الأجانب. استخدمت المجموعتان بنادق آلية من نوع (AK– 47) وقنابل يدوية لمهاجمة الحضور المطمئنين، وقد أسفر الهجوم عن مقتل 11 شخصًا، وإصابة 28 إصابات خطيرة. بعد ذلك توجهت المجموعتان إلى فندق تاج محل، ودخلتا الفندق من المدخل الخلفي، وقد زرعت المجموعتان قبل هجومهم على مقهى ليوبولد وبعده، متفجرات من العبوات الناسفة، (IED) المصنوعة من قبل إدارة البحوث المتفجرة (RDX) . العبوات التي زرعت بعد الهجوم على المقهى انفجرت بنجاح، لكن العبوة الناسفة التي زرعت في سيارة الأجرة التي نقلتهم إلى المقهى انفجرت في وقت لاحق، وأسفرت عن مقتل اثنين من الركاب وسائق سيارة الأجرة، وإصابة 19 من المارة.

في فندق تاج محل، التقى الاثنان مع الفريق الثاني الذي دخل من المدخل الرئيس للفندق، وتحرَّك النشطاء الأربعة في الفندق، واستخدموا (AK–47S) وقنابل يدوية لقتل أكبر عدد ممكن من نزلاء الفندق، واستخدموا أيضًا متفجرات (RDX)، ما أدى إلى تلف القبة المركزية المميزة للفندق، وأضرموا النار في الطابق السادس. قتل المسلحون 36 من نزلاء الفندق، وخلفوا وراءهم

28 مصابًا، وقد أصبحت الأحداث في فندق تاج محل محور اهتمام وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم. وبحسب لائحة الاتهام رقم 1 التي قدمتها شرطة مومباي في هجمات مومباي، فقد استمر الرعب في فندق تاج محل لمدة 59 ساعة، قبل أن تتمكن الوحدات الخاصة في حرس الأمن الوطني، وعلى حساب العديد من أعضائه، من إخضاع المسلحين وتأمين المكان.

عند الهبوط، وصل فريق ثالث إلى ناريمان هاوس سيرًا على الأقدام؛ مركز ناريمان هاوس سمي بتشاباد هاوس بعد أن أصبح مالكوه من اليهود الأرثوذكس، وهو بمثابة مركز ثقافي للمجتمع اليهودي في مومباي. قبل أن يدخلا المبنى، زرع اثنان من المسلحين عبوتين ناسفتين؛ واحدة على الطريق الرئيس قرب ناريمان هاوس، والأخرى في الطابق الأرضي من المبنى، وقد انفجرت كلتاهما، وتمكن المتشددون من احتجاز بعض السكان رهائن، وأجبروا أحد الرهائن على التحدث إلى السفارة الإسرائيلية بوساطة الهاتف، وسعى المسلحون أيضًا إلى إجراء اتصالات مع وسائل الإعلام، وزعموا أنهم حصلوا على تغطية مباشرة من قبل التلفاز الهندي. في الوقت الذي كانت فيه عيونهم مفتوحة على رهائنهم، فتحوا نار أسلحتهم AK–47S والقنابل اليدوية التي بحوزتهم على الناس في المباني المجاورة، فقُتل خمسة من السكان الذين احتجزوا رهائن وجميعهم من الإسرائيليين خلال الهجمات، في حين قُتل أربعة من الهنود، بما في ذلك قائد حرس الأمن الوطني خارج المبنى، وأصيب سبعة أشخاص آخرين بجروح.

فريق رابع شن هجماته على فندق ترايدنت وفندق أوبروي في مومباي، وهما مبنيان منفصلان، فندق ترايدنت وفندق أوبروي متصلان بوساطة ممر. الفريق المسؤول عن الهجمات على هذه المباني وصل عن طريق القوارب القريبة من الفندقين، ودخل القاعة الرئيسة للفندق ترايدنت، وقد فشل في محاولته تفجير عبوة ناسفة بالقرب من مدخل الفندق، قتل الاثنان العديد من الضيوف وموظفي الفندق عند دخولهم إلى القاعة الرئيسة، ومن ثم شقا طريقهما إلى الطوابق العليا من الفندق؛ حيث قاتلا لمدة 42 ساعة قوات الأمن حتى لقيا حتفهما. خلال المعركة، حافظا على اتصال منتظم مع المخططين في باكستان، في حين انتشرت أيضًا معلومات كاذبة عن نية المسلحين الاتصال بوسائل الإعلام. وقد قتل خمسة وثلاثون، وأصيب 24 في هذا الجزء من الهجوم.

أما الفريق الخامس فقد أوقع أكبر عدد من الضحايا؛ فلدى نزوله ومع المسلح الباقي على قيد (الحياة أجمل قصاب من بينهم) تنقلوا من موقع نزولهم إلى محطة السكك الحديدية CST مستخدمين سيارة أجرة، وفي أثناء وجودهم فيها، زرعوا عبوة ناسفة تحت مقعد السائق، ولدى وصولهم إلى المحطة زرعوا عبوات ناسفة أخرى قبل دخولهم القاعة الرئيسة للمحطة، ثم أطلقوا نيران بنادقهم AK–47 وقنابل يدوية ليقتلوا 52 من الحرس والمدنيين، وأصابوا 108 آخرين. بعد إطلاق نار آخر في المحطة غادروا محطة القطار، واستمروا في تبادل إطلاق النار وسط المدنيين الأبرياء، ثم دخل الاثنان مستشفى كاما الذي يقع بالقرب من محطة القطار، فقتلوا سبعة أشخاص وأصابوا عشرة، بينهم ضباط الشرطة المكلفون بحماية المستشفى، وبعد ذلك غادر المتشددون المستشفى، وتبادلوا إطلاق النار مع الشرطة العليا، فقتل ثلاثة وأصيب أربعة. هذا القصف أيضًا أدى لجرح أجمل قصاب، ثم تمكن الاثنان من الاستيلاء على سيارة الشرطة وتوجها بها إلى مركز المدينة في بومباي، وفي إطلاق رصاصهم العشوائي تمكنوا من قتل تسعة وإصابة سبعة آخرين، وعندما فقدوا السيطرة على السيارة بسبب هبوط العجلات، خطف الاثنان سيارة مدنية من نوع سكودا وتابعا طريقهما، في هذا الوقت استطاعت الشرطة تحديد السيارة، فوضعت الحواجز على الطرق لوقفها، عند أحد الحواجز، في غرغوم تشوباتي، توقفت سيارة سكودا، وبعد تبادل إطلاق نار نتج عنه وفاة شرطي هندي، وإصابة المسلحين، حيث تم اعتقالهما. كان أجمل قصاب هو الوحيد الذي بقي على قيد الحياة، والذي يمكن أن يقدم وصفًا مباشرًا للأحداث، ناهيك عن أن العبوات الناسفة التي زرعت تحت مقعد سيارة الأجرة انفجرت أيضًا، وأسفرت عن مقتل السائق وأحد الركاب.

ماذا وراء الهجمات؟

الهجمات المروعة في نوفمبر 2008 في مومباي تركت 166 من المواطنين القتلى و304 من المصابين، فخلال العقد الذي شهد وصول الإرهاب إلى طليعة الوعي العام، برزت هجمات مومباي من حيث الوحشية، وتعقيد العملية، وجنبًا إلى جنب مع عمليات إرهابية أخرى عرفت بقتلها ووسائل إعلامها والتغطية العلمية لها (راجع- على سبيل المثال- تقرير راند بوساطة

راباسا وآخرون، 2009). أيضًا بالمقارنة مع هجمات أخرى، هناك عدد كبير من المصادر المتاحة لتحليل خلفية الهجمات. أولًا، من خلال اعترافات المسلح الذي بقي على قيد الحياة هو أجمل قصاب، حصلنا على معلومات عن الاستعدادات التي أجريت للعملية والدوافع، وعلى ذهنية المسلحين المتورطين في العملية. ثانيًا، من خلال الاستخبارات، تم تسجيل معظم المحادثات بين المسلحين والمخططين في باكستان، ما وفر رؤية فريدة في العملية وعقلية المتشددين. ثالثًا، نظرًا إلى حدوث هجمات مومباي بعد سبع سنوات من الهجمات الانتحارية في نيويورك وواشنطن DC، فقد أثارت هذه العملية اهتمامًا عالميًّا في موضوع الإرهاب، وقد جاءت الرؤى العلمية متطورة لدرجة أن هجمات مومباي يمكن وضعها في منظور أوسع.

الجاني الفرد

من خلال التحقيقات الأولية مع أجمل قصاب، حصلنا على فهم للدوافع الفردية للجناة (على سبيل المثال، خيتان، 2009) قصة قصاب يمكن تعميمها بشكل أو بآخر على جميع المسلحين المتورطين في عمليات القتل في مومباي.

ولد الطفل الأوسط بين خمسة أشقاء، وقد تربى وترعرع قصاب في بلدة صغيرة في إقليم البنجاب الباكستاني. مثله مثل غيره في القرية، كان والده يجد صعوبة في تأمين متطلبات العيش. وبعد أن ترك المدرسة في سن 13 عامًا، عمل قصاب في بداية الأمر في قريته ثم غادرها إلى لاهور للبقاء مع أخيه، ثم ما لبث أن عاد مرة أخرى إلى قريته، ثم انتقل إلى لاهور ثانية. في هذه المدينة الكبيرة، وجد قصاب وظيفة له لكنه فشل في كسب لقمة عيشه، وبدأ يتطور على نحو متزايد في جرائم صغيرة. وقد قال في اعترافاته لفرع مكافحة الجريمة التابع لجهاز شرطة مومباي، إنه قرر الانضمام إلى منظمة LET الإرهابية؛ من أجل الحصول على الأسلحة التي تسمح له أن يكون أكثر فاعلية في الغارات التي ينفذها، لكن ليت LET قدمت له أكثر من مسألة التدريب على السلاح؛ فهي تعلم النموذج المتطرف من الإسلام، كما قامت بتقديم الدعم لأعضائها ولأسرهم، والأهم من ذلك قدمت لهم الروايات التي تشرعن لهم الإرهاب. وبحسب ما أدلى به قصاب، فإن زعيم التنظيم، حافظ سعيد، يحاضر بالمجندين (المسلمون في جميع أنحاء

العالم يحتاجون إلى النهوض إلى الجهاد ضد الكفار، وإذا [هم] ماتوا في الجهاد، فإن وجوههم سوف تتوهج (مثل القمر)، وأجسادهم سوف ينبعث منها رائحة كالمسك، و[هم] سيذهبون إلى الجنة). (خيتان 2009، ص 165؛ النص الأصلي يستخدم نحن بدلًا من هم). لكن أجندة سياسية أكثر محلية توجد أيضًا خلف الجهاد العالمي، وبحسب ما يروي قصاب، يعلن الداعية الجهادي في مركز التدريب: (أنتم مسلمون وعليكم التخلص من الفقر، انظروا إلى الهند؛ فقد سبقونا بأشواط طويلة، وهم يقتلون شعبكم، عليكم أن تعلنوا الجهاد ضدهم).

المنظمة

في تطور ملحوظ للأحداث، تم تسجيل المحادثات بين المسلحين في مومباي ومدربيهم في باكستان، وهذه التسجيلات وفرت رؤى فريدة حول عقلية القتلة على الأرض؛ (انظر على سبيل المثال إلى زكريا وآخرين، 2010). علاوة على ذلك، فقد بينت هذه التسجيلات مستوى التطور لهذه الهجمات، إذ يمكن للمرء أن يستنتج من بينها، أن الهجمات كانت قد نظمت وخطط لها ورصدت من مسافات بعيدة، وهناك أيضًا مؤشرات أخرى لهذا الغرض. تقرير الطب الشرعي الصادر عن إدارة شرطة نيويورك (كيلي، 2009) – على سبيل المثال– يلاحظ الآتي:

> كانت رماياتهم النارية منضبطة ومسيطرًا عليها، وعندما جال رجال الارتباط لدينا الفنادق ومحطات القطار، رأوا من الثقوب التي أحدثها الرصاص أنه أُطلق من قبل ثلاث مجموعات، وكان بمستوى الرأس. مع أقل الرماة خبرة، كنت ترى ثقوب الرصاص في السقف والأرضية، أما هذه المجموعة فقد كان لديها ممارسة واسعة النطاق، وعدد الضحايا يبين ذلك؛ فقد تمكن عشرة إرهابيين من قتل أو جرح أكثر من 500 شخص، وقد شهدت أنهم يعملون معًا كوحدة متكاملة؛ على سبيل المثال: استخدموا إشارات اليد للاتصال عبر المساحات الصاخبة والمزدحمة، وكانت منضبطة بما فيه الكفاية لمواصلة هجومهم لساعات عديدة، وكان لهذا تأثير بزيادة مخاوف الجمهور، وإبقاء الحادث الذي وقع في دورة نشرات الأخبار لمدة أطول من الوقت.

يؤيد هذه الملاحظة أيضًا اعتراف قصاب (انظر إلى خيتان، 2009) الذي ألمح إلى اتساع التدريب على مراحل، بدءًا بالتعاليم الدينية والأسلحة الأساسية، إلى التدريب للمزيد من الممارسة التكتيكية والعملانية المتقدمة.

لا ينبغي أن يشكل مستوى التطور في الهجمات وإعدادها مفاجأة، إذا أخذنا بالحسبان أن المنظمة التي قامت بها هي منظمة ليت LET. يتتبع تانكل أصول هذه المنظمة التي ترجع إلى عام 1986 عندما تأسس مركز حزب الدعوة والإرشاد (مركز للدعوة والإرشاد) في أفغانستان من قبل اثنين من المتمردين الباكستانيين ضد السوفييت؛ زكي الرحمن لاهاكفي وحافظ سعيد، وقد سعى الاثنان لتوحيد الحركة الإسلامية الباكستانية، ودعيا أهل الحديث من خلال توفير الخدمات الاجتماعية للأعضاء، والكفاح المسلح ضد الكافرين.

الوحدة المسلحة للمنظمة التي سميت ليت (LET) (جيش الأنقياء) تم تأسيسها رسميًّا في عام 1990، ومع أنها كانت مكرسة للجهاد العالمي، إلا أن جل تركيزها كان النزاع على كشمير. خلال عقد التسعينيات بأكمله، أصبحت ليت LET أداة بيد المخابرات الباكستانية المشتركة (ISI)؛ للمضي قدمًا في مطالبات الباكستان حول كشمير، ووفقًا لتانكل، فإن ليت LET تتلقى دعمًا كبيرًا من وكالة الاستخبارات الباكستانية لإعداد الخدمات الاجتماعية في الباكستان (ومن ثم زيادة الدعم الاجتماعي)، وتحسين المهارات العسكرية التكتيكية والعملانية، كما سمحت (ISI) لهم باستخدام باكستان ملاذًا آمنًا لهم يعملون من خلالها. وسائل الدعم هذه، بالإضافة إلى الخبرة القتالية والتدريب الجيد للكثير من أعضاء ليت خلال الصراع في أفغانستان في الثمانينيات من العقد الماضي، جعلت من منظمة ليت جيشًا عرمرمًا. (انظر أيضًا كول، 2004).

نمط الهجوم

على الرغم من وصفها بأنها نمط مومباي، إلا أن العسكرية المعقدة لعملية منظمة ليت التي نفذت في مومباي كانت قد استخدمت من قبل، وعلى قاعدة رنا (2004)، فقد أعلنت تانكل (2011) أنها ظهرت بوصفها ردَّ فعل على محادثات السلام بين الهند والباكستان في أعقاب نزاع كارجيل عام 1999. (انظر إلى مروة، 2009)؛ فقد شكلت محادثات السلام تلك تهديدًا وجوديًّا لها، حيث تدين بوجودها إلى النزاع في كشمير. في الثاني عشر من يوليو 1999، قامت فرق قوامها بين اثنين إلى خمسة من الفدائيين بتنفيذ هجوم على الحدود الهندية على معسكر قوات الأمن في الوادي الشمالي لكشمير، مستخدمين القنابل اليدوية والرشاشات الآلية، واستمر

القتال حتى وفاتهم؛ كان الهدف من الفرق الهجومية هو تحقيق أقصى قدر من الضرر، وغرس الخوف في النفوس. (تانكل 2011)، وفي سياق إستراتيجي أوسع، كان الهدف هو التصعيد، في ذلك الوقت، بعد أن انخفض التصعيد في كشمير على نحو واضح، وقد ساعدت هجمات ليت على كسب التأييد لها، ودخلت مجموعات أخرى بقصد المنافسة في هجمات كبيرة وقاتلة، أبرزها جيش محمد الذي ذهب إلى أبعد مما ذهبت إليه ليت، بإدخال الهجمات الانتحارية في نزاع كشمير، وفي السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين، قامت منظمة ليت بتنفيذ هجمات فدائية عدة رفيعة المستوى، بما في ذلك الهجوم على الأرض الواقعة بالقرب من القلعة الحمراء في نيودلهي في ديسمبر 2000، وحدثت خلال الأشهر التالية هجمات على المطار ومركز للشرطة في سريناجار، ما أسفر عن مقتل خمسة هنود أو أكثر في كلتا الحادثتين. في هذه الحالات كلها، استخدم المنفذون هجومًا منسَّقًا بالقنابل اليدوية والرشاشات لإلحاق أكبر عدد من الإصابات.

أسلوب مومباي في منظور أوسع

هجمات مومباي يمكن وصفها بأنها نموذج متطور يحمل بصمات منظمة ليت، وقد حذر بعضهم من تسمية تشير إلى وجود رابط بين نوع الهجوم وبين المكان أو المجموعة؛ يقول المركز القومي لمكافحة الإرهاب في وزارة الخارجية الأمريكية في بيان له NCTC)، 2012) إن:

> الهجمات الإرهابية التقليدية يمكن وصفها بدقة بتحديد عدد المهاجمين، والأسلحة، والتكتيكات، والأهداف، بدلًا من استخدام مصطلحات مثل (الكوماندوز) أو(أسلوب مومباي)، وتقديم جدول هجمات (مماثل)، بما في ذلك الاعتداء على أفراد الجيش الأمريكي في فرانكفورت في 2011، وهجوم شنه (أقل من خمسة مهاجمين) على فندق في مقديشو في عام 2010، والهجوم على مدارس بيسلان المتوسطة واحتجاز رهائن من قبل 30 من المهاجمين في عام 2004.

ومع ذلك، من خلال الجدول، ليس هناك ما يشير إلى وجود رابط مباشر بين هذه الحالات جميعها، من حيث الأسلحة المستخدمة، والأهداف، أو الوصف العام للهجمات.

ما هو إذن أسلوب مومباي؟

تصنيف الأحداث في مومباي كان ولا يزال خاضعًا لمزيد من النقاش؛ فقد أشار بعضهم إلى أن الهجمات يمكن تصنيفها ضمن فئات أوسع؛ على سبيل المثال: (اعتداء مسلح أو إعطاء عدد الإصابات، أو إرهاب الضحايا الشامل)، ومع ذلك تكاد هجمات مومباي تكون حالة استثنائية على العديد من الأبعاد، وقد يكون أكثر دقة أن نعطي تسمية منفصلة لهذه الهجمات، بدلًا من عدِّها حالة استثنائية من الصنف العام للأعمال الإرهابية، فكيف لنا أن نصف أسلوب مومباي؟ على أساس التحليل السابق، أقترح أنه بجمع الخصائص الأربع نجعل من الهجوم حالة فريدة من نوعها، هذه الخصائص يمكن أن نميزها بأربع ميزات هي: الإيمان الراسخ، والتنسيق في الهجمات، والجمع بين أساليب للهجوم، والاتصالات.

الإيمان الراسخ

ثمة سمة واضحة لهجمات مومباي هي عزم وإرادة المنفذين على القتال حتى وفاتهم، ونظرًا إلى قوة المهاجمين بالمقارنة مع المدافعين عن المدينة، يبدو أن الموت أو الأسر هي النتيجة الوحيدة الممكنة. وبالفعل، فإن كلمة فدائيين تعني باللغة العربية أولئك الذين يضحون بأنفسهم، وهي عنصر أساسي في هذه الهجمات. إذن، هو الإيمان الراسخ بأن أفعال المرء تفوق تضحياته الكبيرة، وقد أشار إلى ذلك أحد أهم المنظرين في منظمة ليت، وهو عبدالرحمن مكي (2004)، الذي قال لدى مناقشته هجمات الفدائيين ما يأتي:

> فنشاط الفدائيين يشكل إطلاق هجوم قوي على العدو وتحدِّيًا حقيقيًّا له، وبهذا يظهر ثبات الإيمان، ليدل على الشجاعة والبسالة التي يضحي بها المؤمن بحياته من أجل قضية الإسلام. هذا الشعور الذي لا مثيل له من التضحية وحب الاستشهاد يعد رادعًا للعدو، ويجبره بالقوة على التراجع.

تنسيق الهجمات

السمة الثانية من ملامح (مومباي) هي تنسيق الهجمات؛ فقد شمل التنسيق بين مهاجمين داخل فريق الهجوم، والتنسيق بين فرق الهجوم المؤلفة من خمسة مهاجمين، والتنسيق بين فرق

الهجوم كلها والمخططين لها في باكستان؛ التنسيق بين العناصر كانت مزاياه التكتيكية واضحة؛ لأنه يتيح الإبقاء على الجريمة لمدة طويلة. أيضًا في تحليلات هجمات مومباي، وفي كثير من الأحيان لاحظت قوات الأمن أن هناك صعوبة في اتخاذ القرار من حيث الجهة التي يتعيَّن التوجه إليها بسبب تزامن الهجمات (على سبيل المثال، راباسا وآخرون، 2009). وعلاوة على ذلك، فالهجوم المنسق يظهر التخطيط والمداولات والالتزام، ومن ثم يسهم في مصداقية المنظمة.

مزيج من أساليب الهجوم

السمة اللافتة الثالثة لهجمات مومباي تلك التي تتعلق بمزيج من الأسلحة المستخدمة؛ حيث تشارك بنادق آلية، عبوات ناسفة وقنابل يدوية. بعض المتفجرات انفجرت بعد مدة طويلة من زرعها من قبل المهاجمين، بينما سقط العديد من الضحايا قبل إطلاق النار المباشر، وبالإضافة إلى ذلك، تضمنت الهجمات عمليات قتل وخطف، وحركة بالقوارب وسرقة سيارات، وكذلك التحصن لمدد طويلة، والواقع أن الهجمات يبدو أنها تشمل الذخائر الكاملة المتاحة للإرهابيين وربما باستثناء ملحوظ أسلحة الدمار الشامل.

الاتصالات

آخر السمات هنا، ولكن بالتأكيد ليست سمة قليلة، فقد أثَّرت الاتصالات بصورة خطيرة وبطرق متعددة في هجمات مومباي؛ أولًا: كان الاتصال حاسمًا في تنسيق الهجمات، والتخطيط للمتابعة من قبل المخططين والمهاجمين على الأرض. ثانيًا، سمح للمخططين باستخدام الإبلاغ في التلفاز لتقديم المشورة التكتيكية والتشجيع. ثالثًا، استخدام المهاجمين الاتصالات للوصول إلى الممثلين الدبلوماسيين والجمهور العام. الخاطفون في تشاباد هاوس كانوا قادرين على الاتصال بممثلين عن إسرائيل من السلك الدبلوماسي، وظهروا على شاشة التلفاز الوطني. رابعًا، خلال هذه الاتصالات، نُشرت المعلومات المضللة لزيادة الإرباك بين صفوف قوات الأمن والجمهور العام.

أسلوب مومباي ذو صلة بالانتحار ومن أصناف الإرهاب الأخرى

الآن وقد تم تعريف أسلوب مومباي من حيث الخصائص الأربع التي حددناها، يمكن أن ننتقل إلى المسألة التي أثيرت في بداية هذا الفصل: ما هو موقع أسلوب مومباي في أوساط الإرهاب الانتحاري وغير الانتحاري؟ أقترح أن يكون أفضل تحديد لهذا الموقع التركيز على الاختلافات إلى جانب الأبعاد التي تم تحديدها.

لأول وهلة، يبدو أن أسلوب مومباي فيه من القواسم المشتركة مع الإيمان الراسخ الذي يشتمل عليه الإرهاب الانتحاري أكثر من الإرهاب غير الانتحاري التقليدي، ومن المؤكد أن الإيمان يؤثر في جميع أشكال الإرهاب؛ فالإرهاب الذي يعرَّف على نطاق واسع بأنه العنف لأغراض سياسية أو أيديولوجية ينطوي دائمًا وبشكل عملي على الاستعداد لإيذاء الآخرين؛ بغرض خدمة المثل العليا للمرء، الأمر الذي يتطلب قدرًا كبيرًا من القناعة بأن للمرء مصالحه التي تفوق رفاه الآخرين، ومع ذلك فإن درجة التضحية بالنفس لخدمة هذا الإيمان الراسخ تختلف، وكما أشار إليه من قبل المنظر لدى منظمة ليت الإرهابية عبدالرحمن مكي، بأن أسلوب مومباي ينطوي على شعور لا مثيل له من التضحية وحب الاستشهاد، وربما أكثر من الإرهاب الانتحاري حيث الموت السريع بدلًا من الموت الذي يأتي بعد قتال طويل.

ومع ذلك، ينبغي التأكيد أن أسلوب مومباي لا يشبه الإرهاب الانتحاري؛ فقد كتب عبدالرحمن مكي (2004) ما يأتي: العمل الفدائي ليس عملًا انتحاريًّا، فهو لم يقتل نفسه، إنه فقط أسلوب قتال. ثم يضيف:

> ثمة فرق أساسي بين الفدائي المسلم والعقل الانتحاري؛ حيث إن الفدائي في ظل أحلك الظروف يرغب بأن يقتل على يد كافر أو ملحد.

وهكذا، فإن الفرق الحاسم بين الإرهابي الانتحاري والإرهابي المتورط في أسلوب مومباي هو أن الأول يقتل نفسه، بينما يتجنب هذا الأخير الموت حتى يفرضه الآخرون عليه. على صعيد مصطلحات علم النفس التحفيزي المعاصر (هيغنز، 1998)، عندما يتعلق الأمر بالقتل، يتصرف الإرهابي الانتحاري من خلال التركيز على الترويج، في حين يهدف الإرهابي في أسلوب مومباي إلى منع الموت.

هذه المناقشة ترتبط بملاحظة قدمت في تقرير راند (راباسا وآخرون، 2009) بشأن هجمات مومباي، وتشير إلى الاختلافات في تأطير الإرهاب الانتحاري وأسلوب مومباي؛ ففي الحالة الأولى (الإرهاب الانتحاري)، عادة ما يؤطر عمل الإرهابي على أنه تضحية دينية يقوم بها المؤمن، بينما في الثانية يؤطر على أنه تصرف جندي يحمل إيمانًا راسخًا (ومن السخرية أن تكون الهجمات التي يقوم بها الفدائيون منسجمة مع تعاليم الإسلام، في حين أن الإسلام يحرم الانتحار). بالنظر إلى الانتحار والإرهاب غير الانتحاري (التقليدي)، نجد أن أسلوب مومباي يشترك مع الإرهاب الانتحاري بتركيزه على الإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع، في حين يشترك مع الأشكال غير الانتحارية بتركيزه على الشكل العسكري بدلًا من الشكل الديني للعمل البطولي.

على الرغم من أن تنسيق الهجمات يمكن عدُّه ميزة في أسلوب مومباي، إلا أن هذه الفكرة قد لا تكون مفيدة بشكل خاص في تمييزه عن الشكلين الآخرين للإرهاب اللذين تم تناولهما؛ فقد أصبحت الهجمات المنسقة سمة مميزة للإرهاب الجهادي المنظم والمستلهم، ولكنها ليست حكرًا على هذه الفئة من الإرهاب؛ يمكن للمرء أن يرى هذا التنسيق بين المنظمات الأخرى غير الجهادية، وأبرزها القوات المسلحة الثورية في كولومبيا (فارك FARC) والشايننغ باث (الدرب المضيء) في البيرو. كونها فرضية، ربما كان التنسيق على درجة من الأهمية للإرهابيين الانتحاريين من أسلوب مومباي أكثر من الأشكال الأخرى من الإرهاب؛ إذ يبين علم النفس الاجتماعي أن مثل تلك العقليات من التفكير تؤثر بصورة حاسمة في تعزيز المعتقدات (فيستنغر، 1954، وكروغلانسكي، 2004)، وبالنظر إلى التضحيات الكبيرة التي يقدمها الإرهاب الانتحاري وأسلوب مومباي، فإن تقاسم الهجمات مع الآخرين من العقلية ذاتها قد يكون أداة قوية في تعزيز الإيمان اللازم لتقديم هذه التضحية، فالمحادثات المسجلة بين المهاجمين في مومباي ومدربيهم في باكستان تكشف عن أن الدعم النفسي والتشجيع في الواقع من السمات البارزة.

في حين أن أسلوب مومباي قد يكون فيه من القواسم المشتركة مع الهجمات الانتحارية أكثر من الهجمات التقليدية عندما يتعلق الأمر بالتنسيق، من حيث الجمع بين الأسلحة المستخدمة، إلا أن أسلوب مومباي لديه الكثير من القواسم المشتركة مع الهجمات التقليدية، فالطبيعة الخاصة لعمل الإرهاب الانتحاري تفرض قيودًا كبيرة على الأسلحة التي تختارها، فجمع العديد

من الأسلحة خلال العملية الانتحارية يبدو غير عملي (وله متطلبات سيكولوجية كبيرة)؛ فالإرهاب الانتحاري -مع استثناءات نادرة- ينطوي على استخدام المتفجرات فقط، ومن المفيد ملاحظته أن هجمات مومباي يمكن أن تحدث لأن تركيز قوات الأمن الهندية كان على القنابل (راباسا وآخرون، 2009)، من ناحية: ردًّا على تفجيرات قطارات مومباي في يوليو 2006. ومع هذه المعاينة المتزايدة للتهديد بوجود قنبلة، يمكن أن نعدَّ أن التفجيرات الانتحارية أقل جدوى لدى مخططي هجمات عام 2008، وهكذا فإن الجمع في استخدام الأسلحة التقليدية ربما أسهم في إمكانية تنفيذ أسلوب مومباي.

التشابه بين أسلوب مومباي والهجمات الإرهابية التقليدية، والاختلاف بين أسلوب مومباي والإرهاب الانتحاري قد يكون أكثر وضوحًا عندما يتعلق الأمر بدور الاتصالات؛ فبالمقارنة، ليس هناك أي اتصال في الإرهاب الانتحاري، وبالمقابل، في الإرهاب التقليدي، وعلى الأخص في حالة احتجاز الرهائن، يمكن أن تؤثر الاتصالات بصورة مهمة. في أسلوب مومباي، وعلى النحو المبين سابقًا كان للاتصالات دور أساسي؛ فخلال 60 ساعة من هجوم مومباي، قدمت الاتصالات للمهاجمين مزايا كبيرة، وقدمت مرونة تكتيكية، ومن خلال خطوط الاتصال بين المهاجمين على الأرض ومدربيهم تم رصد الأحداث على شاشات التلفاز. كما قدمت للمهاجمين الفرصة لترجيح وجهة نظرهم، في حين سعى البث العام إلى فهم الأحداث، وإرباك قوات الأمن. وأخيرًا، في بيت تشاباد، التواصل مع الممثلين الدبلوماسيين أوجد تفاوضًا، وعرقل الهجوم المضاد لقوات الأمن.

باختصار، يمكن عدُّ أسلوب مومباي أسلوبًا أقرب إلى الإرهاب الانتحاري منه إلى الإرهاب التقليدي عندما يتعلق الأمر بالإيمان الراسخ، وإن كانت هناك اختلافات واضحة، ومع ذلك عندما يتعلق الأمر بالجمع بين استخدام الأسلحة والاتصالات، فإن أسلوب مومباي يبدو أقرب إلى الإرهاب غير الانتحاري، وفي هذا الصدد يبدو أن هذا التحليل يلتقي مع فكرة أن أسلوب مومباي هو (إرهاب ينصهر فيه التمرد وحرب العصابات (كروملي 2008)؛ فهو يجمع بين الحماس النفسي المرتبط بالإرهاب (الديني) مع كفاءة تكتيكية عسكرية مرتبطة بالتمرد وحرب العصابات).

كيف نحارب أسلوب مومباي؟

سعت المساهمة الحالية لوضع الأسلوب المرتبط بالهجمات على مومباي في 11/26 عام 2008 في منظور مرتبط بالإرهاب الانتحاري والإرهاب غير الانتحاري؛ فتحليل الأحداث، والمنفِّذون والمنظمة المسؤولة، والاتجاهات في مجال بحوث الإرهاب، أدى إلى توصيف أسلوب مومباي في أربع خصائص: إيمان راسخ، وهجمات ذات تنسيق دقيق، والجمع بين الأسلحة المستخدمة والمتعددة مع استخدام الاتصالات. ينبغي أن يكون واضحًا أنه لا يمكن لتكتيك منفرد أن يحارب بشكل فعال هذه المجموعة المعقدة من الخصائص، في الواقع ما يأتي لا يتفق مع التطلعات الإستراتيجية لمكافحة الإرهاب بشكل كامل ضد أسلوب مومباي؛ لهذا أقترح في النهاية أن التحليل الذي قدمناه في هذا الفصل لا يشير إلى ثلاث قضايا يمكن أن تؤخذ في الحسبان عند تطوير هذه الإستراتيجية.

1. **أهمية الإسناد:** منذ أيام نوفمبر عام 2008، تحذيرات الهجوم من أسلوب مومباي كثيرًا ما ظهرت في التقييمات الحكومية للتهديدات وفي وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم، غير أنه في غياب الوصف الواضح لمفهوم أسلوب مومباي، ظلت هذه التحذيرات تقدم القليل من الإرشاد حول كيفية مواجهة هذا التهديد. وبوصفه مفهومًا، استخدم أسلوب مومباي لوصف التهديدات التي تتراوح بين إطلاق النار بهدف الاستمتاع من مجموعات الذئب المنفلت التي تطلق النار عشوائيًّا على المارة الأبرياء ودون تمييز (على سبيل المثال، هايدن، 2012)، لكن في مثل هذه الحالات، قد يكون إسناد التهديد إلى أسلوب مومباي ضارًّا؛ لأن العديد من الخصائص التي تشكل أسلوب مومباي غير متوافرة، فضلًا عن أن تطور أسلوب مومباي سيجعل من غير المناسب التصدي له بتدابير مماثلة، تُستخدم لمكافحة الذئاب المنفلتة أو ضد المجموعات التي تطلق النار بشكل عشوائي؛ خذ على سبيل المثال حالة الذئب المنفلت؛ لا يتوافر فيها الاتصال والتنسيق، وهما خاصيتان أساسيتان في أسلوب مومباي. وكما سوف نلاحظ لاحقًا، قد تكون هذه الميزات حاسمة في التعامل مع أسلوب مومباي، والخلط معًا بين أسلوب مومباي، وإطلاق النار بدافع المتعة من قبل الأفراد، قد يكون له ضرر

كبير للتدخل الفاعل؛ لهذا يبدو من المفيد جدًّا التوصل إلى إسناد دقيق عند التعامل مع ظهور تهديدات إرهابية؛ فالتصور الأوضح لأسلوب مومباي ضروري في هذا السياق، ويمكن عدُّ هذا الفصل خطوة في هذا الشأن.

2. **التواصل:** هو جزء من المشكلة، لكن قد يكون جزءًا من العلاج: التحليلات الواردة في هذا الفصل وضعت جل تركيزها على الاتصالات، وقد تم تحديدها بوصفها سمة رئيسة من أسلوب مومباي؛ فالاتصالات تتيح التنسيق بين فرق الهجوم وتبادل المعلومات التكتيكي بين المهاجمين والمدبرين، ونشر المعلومات المضللة لقوات الأمن، واختلاق الروايات للعالم الخارجي. وبالنظر إلى الدور المركزي للاتصالات في أسلوب مومباي، قد يتساءل المرء ما إذا كان بذلُ مزيدٍ من الجهد لتعطيل الاتصالات يمكن أن يكون وسيلة فاعلة في مكافحته. في هذا السياق، قد يفكر أحدنا بضرورة تعطيل خطوط الاتصال بين المهاجمين، وبين المهاجمين ومدربيهم، علاوة على أن نشر المعلومات المضللة يمكن أن تعطل فاعلية التنسيق في الهجوم، وتقوِّض مصالح المهاجمين. وهكذا، في مواجهة أسلوب مومباي، قد يكون وضع إستراتيجية شاملة للاتصالات مفيدًا وعامل نجاح حاسمًا.

3. **التخطيط للطوارئ:** خلافًا للإرهاب الانتحاري، ينطوي أسلوب مومباي على القتال لمدد طويلة، ولهذا السبب يعد التخطيط الإستراتيجي للطوارئ عنصرًا حاسمًا آخر في مواجهة الحدث. في الواقع، أحداث مومباي التي استمرت ستين ساعة يمكن عدُّها سمة إضافية من سمات أسلوب مومباي؛ فوصول المدربين إلى التغطية المباشرة للأحداث بالإضافة إلى القدرات التي يمتلكها المدربون والمهاجمون على صعيد الاتصالات، سمحت لهم بضبط الخطة الهجومية مع تطور الأحداث، وهذا ما يجعل أسلوب مومباي مختلفًا، وربما لذلك السبب قد يكون له ضرر أكبر من الإرهاب الانتحاري. التخطيط الدفاعي لحالات الطوارئ يمكن أن يوقف هذا النوع من التهديد، مع أنه غير واضح في الوقت الحاضر، كيف سيكون شكل هذا التخطيط، وبالتأكيد الدخول إلى أذهان منفذي الهجوم سوف يكون من الأشياء الرئيسة في هذا السياق.

استنتاج

بدأ هذا الفصل بملاحظة أن أسلوب مومباي برز بوصفه مفهومًا بارزًا في تحليل الإرهاب في العصر الحديث، وفي المواثيق العلمية حول الإرهاب الانتحاري، أسلوب مومباي هو المقيد؛ لأنه يشترك بخصائص كل من الإرهاب الانتحاري وغير الانتحاري. قبل معالجة أوجه الشبه والاختلاف مع هذين النوعين من الإرهاب، كان من المهم أن ننظر أولًا إلى خصائص أسلوب مومباي: الإيمان الراسخ، وتنسيق الهجمات، والجمع بين أساليب الهجوم، والاتصالات.

أدَّت مقارنة أسلوب مومباي مع فئات انتحارية وغير انتحارية من الهجمات الإرهابية إلى استنتاج مفاده أنه عندما يتعلق الأمر بالإيمان الراسخ، فإن أسلوب مومباي أقرب إلى الإرهاب الانتحاري، ولكن عندما يتعلق الأمر بالجمع بين استخدام الأسلحة والاتصالات، قد يكون أسلوب مومباي أقرب إلى الإرهاب غير الانتحاري؛ إن الأسباب الأربعة لأسلوب مومباي توفر أيضًا بعض نقاط الاهتمام في تطوير الإجراءات المضادة، فضلًا عن أن الإسناد أمر بالغ الأهمية لتحديد ما إذا كانت فكرة أسلوب مومباي قابلة للتطبيق، فإذا كانت قابلة للتطبيق، فإن وضع إستراتيجية اتصالات شاملة وتخطيط للطوارئ يمكن أن يشكل مكونًا أساسيًّا لاستجابة فعالة.

المراجع

REFERENCES

Baweja, H. (2009). 26/11: Mumbai attacked. New Delhi: Lotus Collection.

Coll, S. (2004). Ghost wars: The secret history of the Cia, Afghanistan, and Bin Laden, from the soviet invasion to September 10, 2001. New York: The Penguin Press.

Coll, S. (2008, November 28). Decoding Mumbai. In The New Yorker.

Retrieved on October 15, from http://www.newyorker.com

Crumley, B. (2008, November 29). The Mumbai attacks: Terror's tactical shift. In Time. Retrieved from http://www.time.com/time/printout/0,8816,1862795,00.html

Festinger, L. (1954). A theory of social comparison processes. Human Relations, 7(2), 117–140.

Hayden, T. (2012, September 3). Mumbai changed British anti–terror tactics.

In Poliquicks. Retrieved from http://poliquicks.com/2012/09/03/mum–bai–changed–british–anti–terror–tactics

Higgins, E. T. (1998). Promotion and prevention: Regulatory focus as a motiva–tional principle. In M. P. Zanna (Ed.), Advances in experimental social psychology (Vol. 30, pp. 1–46). New York, NY: Academic Press.

Kelly, R. (2009). Lessons from the Mumbai. Testimony of police commissioner Raymond W. Kelly for the Senate Committee on Homeland Security & Govern–mental Affairs. Retrieved on October 15, 2012, from http://www.nyc.gov/html/nypd/html/pr/lessons_from_mumbai_ terror_attacks.shtml

Khetan, A. (2009). Inflicting maximum damage and don't be taken alive: Karachi to Mumbai: Terror, step by step. In Harinder Baweja (Ed.), 26/11: Mumbai attacked (pp. 116–137). New Delhi: Roli Books.

Kruglanski, A. W. (2004). The psychology of closed mindedness. New York: Psy–chology Press.

Makki, A. (2004). Fedai missions. Retrieved on October 26, 2012, from http://www.alhonain.com/english_lect/fidai_mission/fidai_missions_iii.htm

Marwah, V. (2009). India in turmoil: Jammu & Kashmir, the Northeast and left ex–tremism. New Delhi: Rupa & Co.

Mumbai Police. (2009, February 25). Text of the charge sheet filed by the Mumbai terror attacks cases. In R. Basrar, T. Hoyt, R. Hussain, & S. Mandal (Eds.), The 2008 Mumbai terrorist attacks: Strategic fallout

(RSIS Monograph No. 17). Retrieved from http://www.rsis.edu.sg/publications/monographs/Monograph17.pdf

NCTC. (2012). Alternatives to “Mumbai–style” attacks. Retrieved on October 15, 2012, from http://www.nctc.gov/site/technical/alternatives.html

92 MARK DECHESNE

Rabasa, A., Blackwill, R., Chalk, P., Cragin, K., Fair, C., Jackson, B., et al. (2009). The lessons of Mumbai (RAND occasional series paper).

Retrieved on October 15, 2012, from http://www.rand.org/pubs/occasional_pa–pers/2009/RAND_OP249.pdf

Rana, M. (2004). Gateway to terrorism. New Delhi: Minerva Press India Pvt Ltd.

Tankel, S. (2011). Storming the world stage: The story of Lashkar–e– Taiba. New York: Columbia University Press.

Zakaria, F., Matthews, E., Zaidi, H., Ronowicz, S., Appleby, T., Jackson, S., et al. (2010). Terror in Mumbai [Television Broadcast]. New York: HBO.